الفصل الثاني

حياته

١

اسمه ونسبه

هو طَرَفة بن العَبْد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعَة بن قيس بن ثعلبة ابن عُكابة ابن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان.

وقد وقفت معظم المصادر التي ترجمت لطرفة عند ثعلبة. بيد أن ابن الأنباري استأنف سياقة نسبه حتى وصل بها إلى عدنان.[١] وتابعه في ذلك كل من الزوزني في شرحه المعلقات السبع، والبتريزي في شرحه القصائد العشر في ترجمتهما لطرفة بين يدي معلقته. واكتفى أبو عُبَيْد البكري بمدّ سياقة نسبه إلى وائل[٢] وتبعه في ذلك البغدادي[٣]. ووقف ابن حزم عند ضُبَيْعَة[٤].

---

(١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (معلقة طرفة).
(٢) سمط اللآلي: ٣١٩.
(٣) خزانة الأدب ١/ ٤١٤.
(٤) جمهرة أنساب العرب: ٣٢٠.

وطَرَفة لقبه الذي به اشتهر، واسمه عمرو، أجمع على ذلك من ترجموا له، لم يخالف عن هذا الإجماع، فيما علمت، إلا أبو سعيد السكري؛ إذ نقل عنه صاحب معجم الشعراء أن اسمه عُبَيْد. وطَرَفة، بالتحريك، واحدة الطَّرْفاء، وهو شجر الأَثْل، وبها لُقِّب طَرَفة أو لُقِّب ببيت قاله[1]، وهو[2]:

لا تُعْجِلا بالبكاءِ اليومَ مُطَّرَفا ولا أَميرَيْكما بالدار إذْ وَقَفا[3]

وذكر المرزباني أن كُنْيَتَهُ أبو إسحاق، وأضاف: ويقال: أبو سعد، ثم نقل قول ابن دريد: كنية طرفة أبو عمرو[4]. وقال البكري في سياق ترجمته: شاعر جاهلي، يكنى أبا عمرو[5].

يظهر لنا، مما تقدم، أن الذين ترجموا لطرفة لم يختلفوا في اسمه ولا في لقبه، وإنما اختلفوا في كنيته، وهو اختلاف، الخطب فيه يسير؛ إذ ربما تعددت كنى الرجل في الزمن القديم، وبتعدّدها يكون الاختلاف بين الرواة، ولا سيما إذا وصل بعضها إلى سمع الراوية، ولم يصل بعضها الآخر.

على أن تعدد الكنى أو اختلافها لا يقدم في تحديد شخصية الشاعر ولا يؤخر، إذا كان إجماع الرواة قد انعقد على اسمه المميّز الصريح أو لقبه الذي عرف به واشتهر.

---

(١) الشعر والشعراء: ١٨٨، معجم الشعراء: ٢٠١، الخزانة ١/٤١٤، القاموس والتاج (طرف)، دائرة المعارف الإسلامية (طرفة).

(٢) التاج (طرف).

(٣) المطَرَف: البعير المشتَرى حديثاً.

(٤) معجم الشعراء (طرفة).

(٥) سمط اللآلي: ٣١٩.

٢

فترة حياته

لم تذكر المصادر القديمة، فيما علمت، سنة ميلاد طرفة أو وفاته. وجلّ ما قالته: إنه شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، أشعر الناس واحدة، وأحدث الشعراء سنّاً، وأقصرهم عمراً. عاصر الملك عمرو بن هند، وكانت منيته على يديه، وهو في العشرينيات من عمره.

غير أن بعض الباحثين المحدثين حاول تحديد سنة ولادته ووفاته بالأرقام، فقد ذهب كلٌّ من فون غر نباوم[١]، والزركلي[٢] إلى أنه عاش بين ٥٣٨ ـ ٥٦٤ م على وجه التقريب، وذهب كلٌّ من فؤاد أفرام البستاني[٣] وحنا الفاخوري[٤] إلى أن حياته كانت على وجه التقريب أيضاً بين ٥٤٣ ـ ٥٦٩ م. وقال مصطفى صادق الرافعي في تحديد سنة وفاته: «ويقال: إن مقتله كان سنة ٥٥٢ بعد الميلاد، وقيل سنة ٥٦٤»[٥]، وهذا ما رجحه الدكتور بدوي طبانة[٦]، منكراً على الرافعي رقمه

---

(١) دراسات في الأدب العربي: ١٤٠.
(٢) الأعلام (طرفة بن العبد).
(٣) الروائع (طرفة بن العبد).
(٤) تاريخ الأدب العربي: ١٠٢.
(٥) تاريخ آداب العرب ٣/ ٢٢٥.
(٦) معلقات العرب: ١٢٢.

الأول ٥٥٢. أما جرجي زيدان فذهب إلى أن وفاة طرفة كانت سنة ٥٠٠[١]، وذهب لويس شيخو إلى أن وفاته كانت سنة ٥٦٤[٢]. وانفرد الدكتور عمر فروخ بتحديد سنة وفاته بنحو ٥٦٠[٣].

ونحن إذا ما نظرنا في هذه الأرقام، متبينين من خلالها الفترة الزمنية التي عاشها طرفة، ترجح لدينا أن أقربها إلى الصواب في تأريخ ميلاده ما ذهب إليه كل من الزركلي وفون غر نباوم، أي نحو سنة ٥٣٨ م.

أما سنة مقتله فأرجح أنها كانت نحو سنة ٥٦٧ م؛ ذلك أن طرفة غادر حيّه مطوّفاً في الآفاق في ريّق شبابه. ويبدو أن فترة تطوافه وابتعاده عن حيه وقومه قد طالت، فقد رافق عمرو بن أمامة، أخا الملك عمرو بن هند، إلى اليمن، حيث أقاما سنوات، تزوج خلالها عمرو بن أمامة، وأنجب عدداً من الأولاد[٤]. ومما يشهد لطول هذه الفترة القاسية من حياة طرفة تشكيّه من الاغتراب الطويل الذي سلخ فيه طرفاً من شبابه بعيداً عن حيّه وقومه، وذلك في قوله[٥]:

وليسَ امرؤٌ أفنى الشَّبابَ بجُاوراً ... سِوى حَيِّهِ إلّا كآخَرَ هالِكِ

ولما عاد إلى قومه نادماً تائباً معتذراً عما فرط منه من صَبَوات الجهالة، وعماية المجون، ونزغات الغيّ، استوى سيداً ضخماً في السادسة والعشرين من عمره، على حدّ قول أخته الخرنق:[٦]

عدَدْنا لـه سِتّاً وعشرين حِجَّةً ... فلمّا تَوفّاها استَوى سَيِّداً ضَخْما[٧]

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ١/ ١٢٥.
(٢) شعراء النصرانية ١/ ٢٩٨.
(٣) تاريخ الأدب العربي١/ ١٣٥.
(٤) شرح القصائد السبع: ١١٩.
(٥) ديوانه بشرح الأعلم: ٨٢.
(٦) ديوانه: ١٠١.
(٧) توفّاها: بلغها.

ويغلب على الظن أن طرفة تبوّأ في هذه الفترة مكانه سيّداً شريفاً في قومه، يشيد بذكرهم، ويتغنى بمحامدهم، ويزهو بسيادتهم.

ثم ارتحل ثانية عن قومه ميمّمًا شطر الحيرة، حيث عاش فترة في بلاط الملك عمرو بن هند، ثم في صحبة أخيه قابوس، ثم كان مقتله كما سيأتي تفصيله، وفي رحلته هذه التي لم يؤب منها تقول أخته:[1]

فُجِعْنا بِهِ لمّا رَجَوْنا إيابَه ... على خَيْرِ حالٍ، لا وَليداً ولا قَحْما[2]

وبذلك يكون طرفة قد عاش حتى أواخر العشرينيات من عمره، وقد يكون بلغ التاسعة والعشرين. ويعزّز ما وصلت إليه من تقدير سنوات عمره ما نلمس في حكمته من نضج، يدل على أن صاحبه رجل خبر الحياة، ومارس الشعر زمناً ليس بالقصير.

ومما يجدر التنبيه إليه في ختام هذه الكلمة، ما وقع فيه المستشرق مكس سلغسون (Seligsohn) من وهم في مقدمة ديوان طرفة بالإفرنسية، إذ جعل طرفة ممن شهدوا حرب البسوس[3]، وهي الحرب التي نشبت بين بكر وتغلب، وانتهت قبل مولد طرفة بسنوات، كما يفهم من استعراض قتلى أشراف بكر وتغلب فيها؛ إذ كان معظمهم من طبقة جدّه[4]، وقد تابعه في وهمه هذا الدكتور عمر فروخ في كتابه تاريخ الأدب العربي[5].

(١) ديوانه بشرح الأعلم: ١٠١.

(٢) قحمًا: طاعناً في السنّ.

(٣) Seligsohn Dwian de Tarafa p. 8

(٤) انظر حرب البسوس لابن إسحاق: ١٨٩ (ط دار السلام ببغداد).

(٥) ١/ ١٣٦.

٣

مولده ونشأته

ولد طرفة في البحرين، حيث كان قومه من بني بكر بن وائل ينزلون، ونشأ في بيئة يكتنفها الشعر من أطرافِها، فعمه شاعر، هو المرقِّش الأصغر، وعم أبيه شاعر، هو المرقِّش الأكبر، وخاله شاعر، هو المتلمس، وأخته الخرنق شاعرة، وجده لأمه عمرو بن قميئة شاعر.

وبدت عليه مخايل النبوغ والذكاء والشاعرية في فترة مبكرة من حياته، وآية ذلك قوله الشعر، وهو طفل صغير. ويقال: إن أول شعر قاله أبيات أنشدها، وهو مع عمه في سفر، إذ نصب فخاً للصيد، ولبث بياض نهاره ينتظر، فلم يواته الحظ، فلما أراد الرحيل وجمع شباكه هبطت قُبَّرة، فقال متعجباً من تأخر هبوطها ونجاتها من فخه:

يـا لَـكِ مِـنْ قُبَّـرةٍ بِـمَعْـمَـرِ خلا لكِ الجـوُّ فَبِيضي واصْفِري

ونَقِّـري مـا شئتِ أن تُـنَـقِّـري قـد رُفِـعَ الفَـخُّ فـماذا تَحْـذَري

لا بُـدَّ يَوْمـاً أن تُصادي فـاصْبِـري[1]

(١) الحيوان ٣/٦٦، الشعر والشعراء: ١٨٨، الفاخر لابن سلمة: ١٧٩، فصل المقال: ٢٩٠، خزانة الأدب ١/٤١٧.

ومن شعره المبكر الذي يدل على شاعرية ناضجة مبكّرة، ما قاله لأعمامه معاتباً منذراً مهدداً؛ ذلك أن طرفة لم يقدّر له أن ينشأ في كنف أبيه، فقد تخطّف الموت أباه العبد بن سفيان، وهو صغير، ولم يحسن أعمامه كفالته، بل إنهم عدَوْا على ما آل إليه وإلى والدته وردة من إرث أبيه، وأبَوْا أن يقسموا هذا الإرث، ويعطوا لكل ذي حق حقه، فكان لهذا الجَنَف من أعمامه أثر عميق في نفسه الناشئة المتفتحة، التي لم يتسرب إليها الجشع والأثرة والشحّ بعد، فإذا هي تتنزّى ألماً، وتفيض بشعر، فيه العتاب المخجل، والتهديد المبصِّر، والتوجيه الحكيم:[1]

ما تَنْظُرونَ بحقّ وَرْدَةَ فيكمُ ... صَغُرَ البَنونَ ورَهْطُ وردةَ غُيَّبُ
قدْ يَبعثُ الأمرَ العظيمَ صَغيرُه ... حتى تظلَّ له الدِّماءُ تَصَبَّبُ
والظّلمُ فرَّقَ بينَ حَيَّيْ وائلٍ ... بكرٌ تُساقيها المنايا تَغْلِبُ
قدْ يُوردُ الظلمُ المُبَيَّنُ آجناً ... مِلْحاً يُخالَطُ بالذُّعافِ ويُقْشَبُ[2]
والصّدقُ يألفُه اللبيبُ المُرْتَجَى ... والكِذْبُ يألفُه الدَّنِيُّ الأخْيَبُ
أدُّوا الحقوقَ تَفِرْ لكمْ أعراضُكمْ ... إنّ الكريمَ إذا يُحَرَّبُ يَغْضَبُ[3]

فهذه أبيات تدل في معناها ومبناها على موهبة شعرية ناضجة، وطبيعة فنية خصبة، وتزداد قيمتها حين تكون من شاب ناشىء، شدا الشعر في ريّق شبابه، ولما يتّسع نطاق مرئياته وتجاربه في الحياة والفن.

وتتجلى موهبته الشعرية وحسن بصره في الشعر أيضاً في قدرته على نقده، وتمييز جيده من رديئه، والاهتداء إلى مواطن الخطأ والضعف فيه، والتبصير بوجه الصواب، وذلك فيما روى أبو الفرج الأصبهاني عن المفضل الضبي وابن الكلبي،

---

(١) الديوان بشرح الأعلم: ١٠٢، الشعر والشعراء: ١٨٩، خزانة الأدب ١/ ٤١٦.
(٢) الظلم المبين: المستبين الظاهر. والآجن: المتغيّر. ومِلْحاً أي ماء مِلْحاً. والذعاف: السم القاتل. ويقشب: يخلط، وهذا مثل، أي يورد الظلمُ الرجل على ما يسوءه.
(٣) تفر لكم أعراضكم: أي لا تنقص ولا تشتم. ويُحَرَّب: يُهَيَّج.

قالا: كان المتلمس شاعر ربيعة في زمانه، وأنه وقف على مجلس لبني ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة، فاستنشدوه، فأنشدهم شعراً، قال فيه:

وقَدْ أَتناسَى الهَمَّ عندَ احْتِضارِهِ بِناجٍ عليهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ[1]

والصيعرية سمة تكون للإناث خاصة، فقال له طرفة، وهو غلام: استنوق الجمل، أي وصفت الجمل بوصف الناقة، وخلطت، فذهبت كلمته مثلاً.

وأورد أبو الفرج هذه الرواية أيضاً عن ابن السكيت في كتاب الأمثال، وفيها أن طرفة حين قال للمتلمس: استنوق الجمل، ضحك القوم، فغضب المتلمس، ونظر إلى لسان طرفة، وقال: ويل لهذا من هذا، يعني رأسه من لسانه.

وساق أبو الفرج رواية ثالثة عن أبي محمد بن رستم عن ابن السكيت، وفيها أن الشاعر الذي عاب عليه طرفة قوله هو المسيَّب بن علس، وأنه قال لطرفة بعد نقده إياه: ارجع إلى أهلك بوامثة، وهي الداهية، فقال له طرفة: لو عاينت هن أمك هناك، فقال له المسيّب: من أنت؟ قال: طرفة بن العبد، فأعرض عنه المسيب[5].

وقد اختلفت النقول في الرجل الذي نقد طرفةُ قولَه، أهو المتلمس أم المسيَّب أم غيرهما؟ فذهب المرزباني في موضعين من كتابه الموشح إلى أنه المسيَّب بن علس[3]، وذهب في موضع آخر إلى أنه عمرو بن كلثوم[4]. وذهب أبو عبيد البكري الأَوْنبي في كتابه فصل المقال في شرح كتاب الأمثال إلى أنه المسيّب بن علس، ثم أضاف: وقيل: هو المتلمس[5].

وسواء أكان الشاعر الذي نقد طرفةُ قولَه المسيب، أم المتلمس، أم غيرهما، فإن العبرة من هذه الواقعة واحدة، وهي الدلالة على ذكاء طرفة، وبصره في كلام

---

(١) ناجٍ: جمل. والصيعرية: سمة من سمات النوق في أعناقها. ومكدم: غليظ.
(٢) الأغاني (ساسي) ٢١/ ١٣٢.
(٣) ص ١١٠، ١٣٣ (ط دار نهضة مصر ١٩٦٥).
(٤) ص ١١١.
(٥) ص ١٦٢.

العرب، وحدّة ذهنه في معرفة الصحيح من الخطأ فيه، في سنّ مبكرة، شديدة التبكير، إذ كان غلاماً يلعب مع الصبيان.

لم تسعف الأخبار عن طرفة في معرفة تفاصيل نشأته، وأثرها في تكوين شخصيته. غير أن جملة ما يؤخذ من الأخبار القليلة، ومن شعره، أنه نشأ يتيمًا لا أب بجانبه يرعاه ويسدّد خطاه، وكان لا بد لربيب البحرين أن يشهد من الحضارة والعمران وأنواع الملاهي والحوانيت والندمان والقيان ومجالس الشراب ما أثّر في نفسه الناشئة، وجعلها تقبل على حياة اللهو والشراب ومجالسة النساء، دون أن يلقى من يأخذ على يده، سوى أمه، ويبدو أنها كانت رئيفة به، مشفقة عليه، متألمة ليتمه، فلم تكن تقسو عليه في النصيحة، ولم تكن لتمسك يدها عنه في مدّه بالمال الوفير.

وكان في حسب من قومه، كما يقول ابن قتيبة[1]، جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم. ويبدو أن شعوره بكرم المحتد وشرف الأصل، ولّد في نفسه الاعتداد بالنفس، والجرأة على الناس، واندفع في ميعة صباه لتحقيق ذاته، وإبراز شخصيته، وتميّزه على لداته وأقرانه، ولم يكن له من سبيل لتحقيق ذلك إلا أن يبذل ما في يده من مال طارف وتليد. والتفّ حوله رفاق السوء، وما أكثرهم حول يتيم طائش مندفع تيّاه بحسبه الرفيع وشبابه الغضّ، وأخذوا يزينون له حياة الفتنة والفساد، فاندفع في حياة اللهو والمجون والشراب، وأصبح همه عبّ كؤوس اللذة دهاقاً مترعة، وتلبية نزوات النفس الأمّارة بالسوء، ولم يكن إلى جانبه من يكفكف من غلواء اندفاعه في هذا الطريق الوعر، ويسمعه كلمة النصح والتوجيه والإرشاد، فكان كل يوم يمر عليه يزيده إيغالاً في طريق الفتنة والشرود والضلال، حتى غدا هذا النمط من العيش الماجن اللاّهي المسرف فلسفته التي لا يحيد عنها في الحياة[2]:

فلَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ من حاجَةِ الفَتَى ... وجَدُّكَ لم أَحْفِلْ متى قامَ عُوَّدي[3]

---

(١) الشعر والشعراء: ١٨٥.

(٢) الديوان: معلقته، الأبيات: ٥٦ ـ ٥٩.

(٣) متى قام عُوّدي: أي متى مُتّ فقامت النائحات عليّ.

فمِنْهُنَّ سَبْقي العـاذِلاتِ بِشَـرْبَـةٍ كُمَيْتٍ، متى ما تُعْلَ بالماءِ تُزْبِدِ[1]
وكَرّي إذا نادَى المُضـافُ مُحَنَّباً كسِيدِ الغَضَا، نَبَّهْتَهُ، المُتَوَرِّدِ[2]
وتَقْصيرُ يومِ الدَّجْنِ، والدَّجْنُ مُعْجِبٌ، ببَهْكَنَةٍ تحتَ الطِّرافِ المُعَمَّـدِ[3]

روى الجاحظ[4] أن بعضهم سأل امرأ القيس: ما أطيب عيش الدنيا؟ قال: بيضاء رعبوبة[5] بالطيب مشبوبة[6] بالشحم مكروبة[7]. وسئل الأعشى عن ذلك فقال: صهباء صافية، تمزجها ساقية، من صوب غادية[8]. وقيل مثل ذلك لطرفة، فقال: مطعم شهيّ، وملبس دفيّ، ومركب وطيّ.

ويستفاد من شعر طرفة أنه لم يتوقف عن تبذير المال، فإذا ما نفد ماله، ودعا الداعي إلى البذل أو الإنفاق على مجالس اللذة والأنس، مدّ يده إلى مال أهله وذويه. ولعل هذا من أسباب تذمر قومه من تصرفاته الطائشة وتحاميهم إياه. وفي معلقته أبيات واضحة الدلالة على عقره إبلاً لشيخ ممسك خصيم شديد الخصومة من أقاربه، ليقدم من لحمها شواء شهياً لأخدان اللهو والشراب، ولم يحل صياح الشيخ واحتجاجه دون عقر طرفة لهذه الإبل، فإذا هي بين أيدي الإماء، وفوق الرماد الحارّ شواء سميناً لذيذاً، يسعين به على الشرب اللاهي الطروب[9]:

وبَرْكٍ هُجودٍ قدْ أثارتْ مَخـافَتي نَـواديَهُ أمشي بِعَضْبٍ مُجَـرَّدِ[10]

---

(١) سبقي العاذلات: أي أغدو على شرب الخمر قبل لوم العاذلات.
(٢) المضاف: المدرك الذي أحاط به العدو. ومحنّباً: فرساً. والسّيد: الذئب. والغضا: الشجر. ونبّهته: هيّجته. والمتورّد: الذي يطلب الورد.
(٣) يوم الدجن: اليوم الغائم الذي يحسن فيه اللهو. والبهكنة: المرأة الجميلة. والطراف: البيت من أدم. والمُعمَّد: القائم على أعمدة.
(٤) **البيان والتبيين: ١٧٨/٢**، وانظر العقد الفريد ٢١٢/٧.
(٥) أي حسنة.
(٦) أي شَرقة.
(٧) أي مفتولة.
(٨) أي من مطر سحابة.
(٩) ديوانه بشرح الأعلم، الأبيات ٨٧ ـ ٩٢ من المعلقة.
(١٠) البرك: جماعة إبل الحي. والهجود: النيام. ونواديه: أوائله. والعضب: السيف القاطع.

فمـرَّتْ كَهاةٌ ذاتُ خَيْفٍ جُـلالَـةٌ ... عَقيلةُ شيـخٍ كالـوَبيلِ يَلَنْـدَدِ[1]

يقـولُ وقدْ تَـرَّ الوَظيفُ وسـاقُها ... ألستَ تَرى أنْ قدْ أتيتَ بِمُؤْيِدِ[2]

وقـالَ ألا مـاذا تـرَوْنَ لِشـارِبٍ ... شَـديـدٍ عليكمْ بَغْيُـه مُتَعَمِّـدِ؟

فقـالَ ذَرُوهُ إنّمـا نَفْعُـهـا لَـهُ ... وإلاّ تَكُفّوا قاصِيَ البَرْكِ يَزْدَدِ[3]

فـظلّ الإمـاءُ يَمْتَلِلْنَ حُـوارَهـا ... ويُسْعَى علينا بالسَّديفِ المُسَرْهَدِ[4]

---

(١) الكهاة: الضخمة المسنّة. والخيف: جلد الضرع المشتمل عليه. والجلالة: الضخمة. وعقيلة المال: خيره وأفضله. والوبيل: العصا، شبه بها الشيخ لهزاله وضمره. واليلندد: شديد الخصومة.

(٢) تر: سقط. والوظيف: ما بين الرسغ والساق. والمؤيد: الداهية.

(٣) يزدد: أي يزدد في نفاره من هذا العاقر.

(٤) يمتللن حوارها: أي يشتوينه في المَلّة، وهي الرماد الحار والجمر. والحوار: ولد الناقة. والسديف: شقق السّنام. والمسرهد: الحسن الغذاء والسمين.

٤

تشرّده وأسفاره

ظلّ طرفة مسترسلاً في عمايته، سادراً في غوايته، يمزج بين اللهو والمجون والحماسة، ويجترىء على هجاء أهله والناس، ويسخر بمن يخالفه في مذهبه ومشربه في الحياة، ويبدد ما في حوزته من مال، غير مقدر للعواقب، ولا حاسب للغد المجهول أي حساب، حتى باع كل ما عنده، وأصبح صفر اليدين من كل متاع في هذه الحياة. ونظر إلى أهله وعشيرته، فإذا هم قد انفضوا من حوله، وتحاموا مخالطته، وإذا هو معزول عنهم كما يعزل البعير الأجرب المهنوء بالقَطِران[1]:

وما زالَ تَشْرابي الخُمـورَ ولَذَّتي ... وبَيْعي وإنْفاقي طَريفي ومُتْلَدي[2]
إلى أنْ تحـامَتْني العَشيـرةُ كُلُّهـا ... وأُفـرِدْتُ إفْرادَ البَعيـرِ المُعَبَّـدِ[3]

هنالك، لم يجد طرفة بدّاً من أن يشدّ عصا الترحال، فغادر ديار قومه، هائمًا على وجهه، تقذف به النوى في أحياء العرب ومفاوز الصحراء، لا أنيس له في طريقه اللاحب الطويل سوى ناقته، ولعل هذه الصحبة الطويلة لها هي سرّ إبداعه في وصفها وصفاً، لم يبلغ شأوه شاعر.

---

(١) المعلقة: ٥١، ٥٢.

(٢) الطريف: ما استحدثته من المال. والمتلد: ما كان قديماً عندك.

(٣) المُعبَّد: المطلي بالقَطِران.

ويبدو أنه في هذه الفترة من حياته وصل الحبشة، كما يفهم من عنوان قصيدة له في ديوانه، نص على أنه قالها في إطراده إلى النجاشي[1].

ويستفاد من مجموع الأخبار التي تعرضت لطرفة وعلاقته بالعرش الحيري، أنه ألـمّ في هذه الفترة من حياته بالحيرة، وكان على عرشها عمْرو بن هند، وقد رشح أخاه قابوساً ليملك بعده. فلما قدم إليه طرفة، جعله في صحابة قابوس في جملة العرب المخصَّصين لمسامرته والركوب معه.

ولبث طرفة شطراً من حياته في بلاط عمرو بن هند، ينادم أخاه قابوساً. ويبدو أنه لم يلق في هذه الفترة الترحيب الكافي من عمرو وقابوس، واعتراه غير قليل من الضجر من وقوفه على بابهما النهار كله، فلا يؤذن له فيدخل، ولا يؤمر بالرجوع فيرجع. وإلى هذا يشير بقوله[2]:

وأمّـا يـوْمُنـا فنَـظَلُّ رَكْبـاً وُقـوفاً مـا نَحُـلُّ ومـا نَسِـيرُ

ورأى منهما جفوة، أدت به إلى هجائهما هجاء مقذعاً في قصيدته الرائية[3]:

فَلَيْتَ لَنـا مكـانَ المَلْكِ عَمْـرٍو رَغُـوثـاً حـول قُبَّتِنـا تَخُـورُ[4]

بيد أن هذا الهجاء بقي في طيّ الكتمان، لم يبلغ مسامعهما. ولما وقعت الواقعة بين عمرو بن هند وإخوته الأشقاء من جهة، وبين أخيه لأبيه عمرو بن أمامة من جهة ثانية، بسبب حرمانه من نصيبه في الملك، كما سيأتي بيانه، انضمّ طرفة إلى عمرو بن أمامة، وسار معه إلى اليمن، فحقد عليه عمرو بن هند، لما كان من مسيره مع أخيه عمرو بن أمامة، وكانت هذه أول موجدة عليه[5]

---

(١) الديوان بشرح الأعلم: ٨٥.
(٢) ديوانه: ٩٨.
(٣) ديوانه: ٩٦.
(٤) الرغوث: النعجة المرضع.
(٥) شرح القصائد السبع، مقدمة قصيدة طرفة.

٥

عودته إلى قومه

شطّت بطرفة نوى، أقصته عن ديار قومه، وقذفت به بعيداً عن ملاعب صباه، ومغاني شبابه، ومطارح ذكرياته. ولم تواته الأيام في رحلته هذه، بل تجهّمت له، وقست عليه، وألقت بأرزائها على عوده الغضّ الرطيب، وجعلته يواجه وحده، وهو الفتى ابن العشرين، الهموم والأعباء التي ينوء بحملها الرجال أولو العزم.

طوّف في الآفاق، وجاب الممالك، طمعاً في الوصول إلى حال أحسن من الحال التي كان عليها في ديار قومه، فلم يظفر بغير الاغتراب المضني، والشقاء الواصب، والحسرات الحارّة، يصعّدها من نفس مكتئبة حزينة، برّح بها الحنين للأهل والديار، ففاضت بشعر، يحكي ما يعتلج في أعماق تلك النفس من حرقة كاوية، وألم دفين[1]:

ولا غَـرْوَ إلّا جـارتي وسُؤالُهـا ... ألا هَلْ لنا أَهْلٌ؟ سُئِلْتِ كذلكِ[2]

تُعيِّـرُ سَيْري في البِـلادِ ورِحْلتي ... ألا رُبَّ دارٍ لي سِوَى حُرِّ دارِكِ[3]

---

(١) ديوانه: ٨٢.

(٢) لا غرو: لا عجب. سئلت كذلك: دعاء عليها بالغربة، أي صيّرك الله غريبة مثلي، تُسْألين كذلك السؤال.

(٣) حرّ الدار: وسطها وأكرمها.

وليسَ امرؤٌ أفْنى الشّبابَ مُجاوراً سِوى حَيِّهِ إلا كآخَرَ هالِكِ[1]

وزاد في شقائه وكربة نفسه وأساه خيبةُ أمله بمقتل عمرو بن أمامة، إذ كانت تراود نفسه الناشئة الطّموح آمال عذاب بانتصار عمرو بن أمامة على أخيه عمرو بن هند، وبنيله حظوة عنده، تقلب حياته من جحيم إلى نعيم، وتنقله من الشقوة والتشرد والضياع، إلى السعادة والاستقرار والأمن واليمن والرفاه.

ولكن الأقدار لم تمدّ له في تملّي هذه الأحلام، فسرعان ما قُتِل عمرو بن أمامة، وعاد طرفة يجرّر أذيال الخيبة والمرارة والخجل.

هنالك، تجلّى لطرفة غيُّه وزيغُه وخطلُ طريقه، وانقدحت في نفسه شرارة التوبة من ماضيه الحافل بالآثام، وهجس في نفسه هاجس العودة إلى ديار قومه وأهله وأحبّته، فلبّاه، وعاد إليهم يخاطبهم بتواضع ووداعة ولين جانب:[2]

ولقدْ كنتُ عليكمْ عاتباً فعقَبْتُمْ بِذَنوبٍ غَيْرِ مُرّْ[3]
كنتُ فيكمْ كالمُغطّي رأسَهُ فَانْجلَى اليومَ قِناعي وخُمُرْ
سادِراً أَحْسِبُ غَيّي رَشَداً فتَناهَيْتُ وقدْ صابَتْ بِقُرّْ[4]

وعاد طرفة ليواجه واقعه القاسي من جديد، فلم يكن أمامه إلا أن يسرح مع أخيه معبد فيما تبقى لهما من إبل، على رواية ابن الأعرابي، أو في إبل أخيه معبد، على رواية غيره[5].

وأَنِفَ طرفة أن يرعى الإبل، وكان إذا طامنَ مِنْ كبريائه، ونزل لرعايتها، يغبّها، يرعاها يوماً، ويغيب عنها يوماً. ولما أغبّها قال له أخوه معبد: لِمَ لا تسرح بإبلك؟ كأنك تُرى أنها، إن أُخِذَتْ، يردها شعرك هذا؟! فأجابه طرفة بحدّة: إني

---

(١) هالك: ميت، لما يلقى من الذل وقلة التمكّن.

(٢) ديوانه: ٦٧.

(٣) عقبتم: عطفتم ورجعتم. والذّنوب: الدلو، ضربها مثلاً للحظ الذي نال منهم. وغير مرّ: أي لم يمطلوا به ولا منّوا، فيكون مرّاً.

(٤) تناهيت: أقصرت عما كنت فيه وكففت. وصابت بقرّ: أي صارت الشلّة إلى قرارها.

(٥) شرح القصائد العشر، البيت: ٧١.

لا أخرج فيها أبداً، حتى تعلم أن شعري سيردّها إن أُخِذَتْ، فتركها، وأخذها ناس من مضر، فادَّعى جوار عمرو بن هند وقابوس ورجل من اليمن، يقال له بشر بن قيس، وفي ذلك يقول طرفة مخاطباً عمرو بن هند[1]:

لَعَمْرُكَ ما كانَتْ حَمولةُ مَعْبَدٍ ... على جُدِّها حَرْباً لِدينكَ من مُضَرْ[2]
وكانَ لها جارانِ قابوسُ منهما ... حِذاراً، ولم أَسْترْعِها الشمسَ والقمَرْ
وعمرُو بنُ هندٍ كانَ مِمَّنْ أجارَها ... وبعضُ الجوارِ المُستَغاثِ به غَرَرْ
أعمرَو بنَ هندٍ ما تَرى رأي صِرْمَةٍ ... لها شَنَبٌ تَرْعى بِهِ الماءَ والشجَرْ[3]

ويبدو أن عمرو بن هند تباطأ في ردّ الإبل، بل تذهب بعض الروايات إلى أنه أخذها انتقاماً من طرفة، لما كان من مسيره مع أخيه عمرو بن أمامة إلى اليمن[4].

وتذهب رواية أخرى أوردها البتريزي في شرحه لمعلقة طرفة[5] إلى أن هذه الإبل التي ضلت كانت لأخيه معبد، وأن طرفة اهتم باستعادتها، فسأل ابن عمه مالكاً أن يعينه في طلبها، فلم يلق من ابن عمه إستجابة، بل رأى إعراضاً وتجهمًا ولوماً، وقال له: فرطت فيها، ثم أقبلت تتعب نفسك في طلبها؟

وفي هذه الواقعة التي أحدثت أثراً عميقاً في نفس طرفة يقول[6]:

فمالي أراني وابنَ عميَ مالِكاً ... متى أَدْنُ مِنْهُ يَنْأَ عنّي ويَبْعُدِ
يلومُ ومـا أدْري عـلامَ يَلومُني ... كمَا لامَني في الحَيِّ قُرْطُ بنُ أَعْبَدِ[7]

---

(١) ديوانه بشرح ابن السكيت: ٣.
(٢) الجُدّ: البئر التي تكون في موضع كثير الكلأ. لدينك: لأهل طاعتك. يقول: نحن في أهل طاعتك، ومضر في طاعتك، فما بالنا أغير علينا؟ ديوانه (ابن السكيت): ٣.
(٣) الصِّرْمَة: القطعة من الإبل.
(٤) شرح القصائد السبع: ١٢٢.
(٥) البيت: ٧١.
(٦) ديوانه بشرح الأعلم: ٣٢.
(٧) قرط بن أعبد: رجل من حيّ طرفة.

وأيأسني من كلّ خيرٍ طلبتُهُ كأنّا وضَعْناهُ على رَمْسِ مُلْحَدِ[1]
على غيرِ شَيْءٍ قُلتُه غيرَ أنّني نشَدْتُ فلمْ أُغْفِلْ حَمولةَ مَعْبَدِ
وقَرَّبْتُ بالقُرْبى وجَدِّكَ إنّني مَتى يَكُ عَهْدٌ لِلنَّكيثَةِ أشْهَدِ[2]
وإنْ أُدْعَ لِلْجُلَّى أكُنْ مِنْ حُماتِها وإنْ تأْتِكَ الأعداءُ بالجَهْدِ أجْهَدِ
وإنْ يَقْذِفوا بالقَذْعِ عِرضَكَ أسْقِهِمْ بِشِرْبِ حِياضِ المَوْتِ قبْلَ التَّهدُّدِ
وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أشَدُّ مَضاضَةً على المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ[3]

لقد حزّ في نفس طرفة أن يلقى مثل هذه المعاملة من أحد أبناء أهله وعشيرته، وزاد في ألمه أنه يحمل بين جنبيه شعوراً صادقاً بحبهم، ويحسّ في أعماقه رغبة جارفة في نجدتهم، والذود عن حياضهم، إن ألم بساحتهم مكروه، أو دهم ديارهم مغير، أو قذف عرضهم قاذف.

وتبدّت لطرفة الحقيقة المرّة، وهي أنه لم يلق هذا التجهّم من بعض أهله وبني قومه إلا لصَفَر يده من المال، وخلوّ حياته من الولد، فانسابت من نفسه بمرارة تلك الحقيقة القاسية شعراً، يذكر فيه سيدين من سادات العرب، أحدهما عرف بكثرة المال، والثاني عرف بكثرة الولد[4]:

فلو شاءَ ربّي كنتُ قيسَ بنَ خالدٍ ولو شاءَ ربّي كنتُ عَمْرَو بنَ مَرْثَدِ[5]
فأَصْبَحْتُ ذا مالٍ كثيرٍ وعادَني بَنونَ كِرامٌ سادةٌ لِمُسَوَّدِ[6]

ويروي أبو عبيدة أن عمرو بن مرثد، ابن عم طرفة، لما سمع قول طرفة قال:

---

(١) يقول: قد يئست من كل خيره كأنه قد مات ودفنته في القبر.
(٢) قربت بالقربى: أدللت على ابن عمي بالقرابة. متى يك عهد للنكيثة أي متى يقع أمر يبلغُ فيه أقصى المجهود أشهده.
(٣) مضاضة: حرقة.
(٤) ديوانه: ٣٧.
(٥) قيس بن خالد: هو قيس بن خالد بن عبد الله ذي الجدين من بني شيبان. وعمرو بن مرثد: ابن عم طرفة.
(٦) عادني بنون: أتوني وعادوني. سادة لمسود: أي سادة أبناء سادة.

ابعثوا إلى طرفة فليأتني، فأتاه، فقال له: أما الولد، فالله يعطيكه، وأما المال، فلا تبرح حتى تكون أوسطنا مالاً، ثم أمر بنيه، وهم سبعة، أن يعطوه عشراً عشراً من الإبل، حتى أعطاه بنو عمرو سبعين بعيراً، ثم قال لثلاثة من بني أبنائه: أعطوه عشراً عشراً، فأعطوه ثلاثين[1].

وتحققت كلمة طرفة لأخيه معبد: «لا أخرج في الإبل أبداً، حتى تعلم أن شعري سيردّها إن أخذت»، فقد عوضه عنها ابن عمه عمرو بن مرثد وبنوه وحفدته أيما تعويض، وعوض هو بدوره أخاه معبداً خسارته بضياع إبله.

وأقام طرفة فترة من حياته ينعم بخفض العيش، ويتقلب في أعطاف النعيم، ويكثر من مجالس أنسه ولهوه، وينفق بسخاء في هذه المجالس، حتى نفد ما تبقّى لديه من مال، وأصبح لزاماً عليه أن يبحث عن مجال حيوي جديد يتجه إليه، فلم يجد إلا الارتحال إلى بلاط عمرو بن هند في الحيرة.

(١) معلقته، البيت: ٨٠.

٦

ارتحاله إلى عمرو بن هند

تؤكد المصادر التي ترجمت لطرفة أنه قدم على عمرو بن هند، ولكنها لم تفصّل القول في هذه الزيارة، ولم تحدّد الفترة التي تمت فيها، ولم تقل شيئاً عن تعدّدها.

جلّ ما قالته أنها تمت، وأن طرفة عاش فترة من حياته في بلاط عمرو بن هند وأخيه قابوس، لم تطب فيها الحياة لطرفة، فهجاهما. ولما سمع عمرو بن هند بهجائه دبّر أمر مقتله.

يقول ابن قتيبة: وكان طرفة ينادم عمرو بن هند، فأشرفت ذات يوم أخته، فرأى ظلّها في الجام الذي في يده، فقال[1]:

أَلا يـا بِـأَبي الـظَّبْـيُ الَّـذي يَـبْـرُقُ شَـنْـفـاهُ[2]
ولَـوْلا المَـلِكُ الـقـاءِ لـدُ قـدْ أَلْـثَـمـني فـاهُ

فحقد ذلك عليه، وكان قال أيضاً[3]:

وليتَ لنـا مكـانَ المَلْكِ عَمْـرٍو رَغـوثـاً حَـوْلَ قُبَّتِنـا تَـدورُ[4]

---

(١) الشعر والشعراء: ١٨٩.
(٢) الشَّنْف: الذي يلبس في أعلى الأذن، والذي في أسفلها القرط، وقيل: هما سواء.
(٣) الشعر والشعراء: ١٨٩.
(٤) مضى البيت وشرحه ص ٣١.

لَعَمْـرُكَ إنَّ قـابـوسَ بنَ هِنْـدٍ لَـيَخْـلِطُ مُلْكَـهُ نُـوكٌ كَـثِيـرُ[1]

ثم يكمل ابن قتيبة القصة التي حبّرها الرواة في مقتله[2]، والتي سنعرض لها بعد قليل.

والذي أرجّحه من استقراء أخباره وشعره أن طرفة ألـمّ بالحيرة، واتصل بعمرو بن هند وأخيه قابوس غير مرة، كما بينت في كلامي على «تشرده وأسفاره». وربما كانت زيارته هذه لعمرو بن هند بعد عودته إلى دياره، آخر زياراته للحيرة، ولعمرو بن هند، إذ أعقبها مقتله.

ويغلب على الظن أن عمرو بن هند أعجب بشعر طرفة في هذه الفترة الأخيرة من حياته، وأنس به، وقرّ به. ولكن فترة الإعجاب والأنس والتقريب هذه لم تطل للأسباب الآتية:

١ ـ شخصية طرفة الفتيّة العزيزة المستعلية الفخور، التي لا يمكن أن تذوب في شخصية الملك الممدوح، ولا تستطيع على المجاملة والتزلّف والتملّق صبراً.

٢ ـ تشبيبه بأخته، كما ذكر ابن قتيبة، فقد يعدّ عمرو بن هند هذا التشبيب، إن صحت الرواية، تطاولاً من طرفة على مقام البيت المالك، وخوضاً في أعراض عقيلاته من النساء.

٣ ـ تسرّب أنباء هجائه لعمرو بن هند وأخيه قابوس وبني المنذر[3]، وإنه لهجاء مرّ موجع، نعرف قيمته وأثره في نفس المهجو من قول الجاحظ، إذ عدّ طرفة ممّنْ مدحوا فرفعوا من قدْر مَنْ مدحوه، وهجَوْا فوضعوا من قدر مَنْ هجَوْه[4].

---

(١) مضى البيت وشرحه ص ٣١.
(٢) الشعر والشعراء:١٨٩.
(٣) انظر ديوانه بشرح الأعلم: ١٠١، ١١١، وبشرح ابن السكيت: ١٥، ٥٠.
(٤) البيان والتبيين ٤/٨٣.

٤ ـ مطالبتُهُ عمرَو بن هند بأخذ الثأر لأخيه عمرو بن أمامة من قبيلة مراد التي قتلته، وذلك في قوله[١]:

أعَمْرَو بنَ هِنْدٍ ما تَرى رَأْيَ مَعْشَرٍ أماتوا أبا حَسّانَ جاراً مُجاوِرا

٥ ـ معاتبته على أخذ إبله، لما كان من مسيره مع عمرو بن أمامة، وذلك في قوله[٢]:

لَعَمْرُكَ ما كانَتْ حَمُولَةُ مَعْبَدٍ على جُدِّها حرْباً لِدِينِكَ مِنْ مُضَرْ[٣]

وقد أدت هذه الأسباب مجتمعة إلى نفض عمرو بن هند يده من إخلاص طرفة وولائه له ولعرشه، بل ثبت له تعاليه وتمرّده والخروج عليه، ومن ثم عقد العزم على التخلص منه، ولم ينفع طرفة اعتذاره لعمرو بن هند حين أحسّ أن هجاءه له ولآل بيته قد تسرّب إليه، وإنه لاعتذار، على ما فيه من لين وحسن تأت، لم يخل من اعتداد الحداثة وعنجهية الشباب[٤]:

إنّي وجَدِّكَ ما هَجَوْتُكَ والـ أنْصابِ يُسْفَحُ بَيْنَهُنَّ دَمُ
ولقدْ هَمَمْتُ بِذاكَ إذْ حُبِسَتْ وأُمِرَّ دُونَ عَبِيدَةَ الوَذَمُ[٥]
أخْشَى عِقابَكَ إنْ قَدَرْتَ ولَمْ أغْدِرْ فيُوثَرَ بيننا الكَلِمُ[٦]

وإذا أضفنا إلى هذه الأسباب جميعاً أن عمرو بن هند لا يمكن أن يغتفر لطرفة مسيره مع أخيه عمرو بن أمامة إلى اليمن، مهما تظاهر لطرفة بالصفح ولين القول، دهاء منه وتألّفاً أو استدراجاً، أدركنا الأسباب البعيدة التي جعلت عمرو بن هند لا يزورّ عن طرفة فحسب، بل يصمم على قتله.

---

(١) القصيدة الأولى في ديوانه بشرح ابن السكيت.
(٢) القصيدة الثانية في ديوانه بشرح ابن السكيت.
(٣) مضى البيت وشرحه ص ٥٢.
(٤) ديوانه بشرح الأعلم: ١٠١.
(٥) حبست: يعني الإبل التي أُغِير عليها. وأُمِرّ دونَ عَبيدة الوَذَمُ: يقال: أمرّ دون فلان الوذم، إذا استبدّ بالأمْر دونه، وهذا مثل. وأصل الإمرار: شدّة الفتل. والوَذَم: السّيور التي تُشَدّ بها الدلو إلى العراقي. وعَبيدة: أخو طرفة.
(٦) يوثر بيننا الكَلِم: أي يُتحدَّث عنّا.

٧

سجنه ومقتله

كثرت الروايات وتعددت الأخبار حول سجن طرفة ومقتله، والأسباب التي أدت إلى نهايته هذه، وهو في ميعة الصبا وريعان الشباب، ومعظم هذه الروايات والأخبار يدور حول مقدمه على عمرو بن هند، وهجائه له ولأخيه قابوس، وقد أودى هذا الهجاء بحياته في قصة منمّقة محبّرة منسّقة الحوادث، للخيال فيها نصيب كبير، وهي مروية في معظم كتب الأدب والأخبار.

وخلاصتها: أن طرفة كان هجا عمرو بن هند، ولم يبلغه هذا الهجاء، حتى خرج يوماً إلى الصّيد، فأمعن في الطلب، وانقطع في نفر من أصحابه، حتى أصار طريدة[١]، فنزل وقال لأصحابه: اجمعوا حطباً، وكان فيهم عبد عمرو بن بشر، ابن عم طرفة، وزوج أخته، وكان طرفة قد هجاه وسخر منه، إثر شكاة أخته منه، فقال[٢]:

ولا عَيْبَ فيه غيرَ أنَّ لهُ غِنىً ... وأنَّ لهُ كَشْحاً، إذا قامَ، أَهْضَما[٣]

وأنّ نساءَ الحيِّ يعكُفْنَ حولَهُ ... يَقُلْنَ: عَسيبٌ من سَرارةِ مَلْهَما[٤]

---

(١) أصاره إليه: أماله.

(٢) الشعر والشعراء: ١٨٥.

(٣) الكشح الأهضم: الخصر الضامر، والكلام على الاستهزاء به، لبدانته.

(٤) العسيب: عسيب النخلة. وسرارة كل شيء: وسطه وأفضله. ومَلْهَم: موضع باليمامة كثير النخل.

وفي رحلة الصيد هذه قال عمرو بن هند لعبد عمرو: اشوِ للقوم، فأوقد ناراً وشوى، فبينا عمرو يأكل من شوائه، وعبدُ عمرو يقدم إليه، إذ نظر إلى خصْر قميصه منخرقاً، فأبصر كشحه، وكان من أحسن أهل زمانه كشحاً وجسمًا، فقال عمرو بن هند: يا عبد عمرو، لقد أبصر طرفة حسن كشحك حين قال: «ولا عيب فيه. . .» البيت.

وفي الشعر والشعراء: أن عمرو بن هند خرج للصيد، فأصاب حماراً، فعقره وقال لعبد عمرو: انزل إليه، فنزل إليه فأعياه، فضحك عمرو بن هند وقال: لقد أبصرك طرفة حين قال: «ولا عيب. . .» البيت[1].

فغضب عبد عمرو من سخرية عمرو بن هند به، وقال: أبيت اللعن، الذي قال فيك أشدّ مما قال فيّ. قال عمرو: ما الذي قال؟ فندم عبد عمرو على ما سبق منه، وأبى أن يسمعه، فقال: أَسْمِعْنِيه، وطرفة آمن. فأسمعه القصيدة التي هجاه فيها، ومطلعها:

فَلَيْتَ لَنا مكانَ المَلْكِ عَمْـرٍو رَغُـوثـاً حـولَ قُبَّتِنا تَخُـوُر[2]

فسكت عمرو بن هند على وَقْرٍ في نفسه[3]، وكره أن يعجَلَ عليه لمكان قومه، فأضربَ عنه، وبلغ ذلك طرفة، وطلَّب غِرّتَه والاستمكان منه، حتى أمن طرفة، ولم يَخَفْهُ على نفسه، وظن أنه قد رضي عنه.

وقدم هو وخاله المتلمس على عمرو بن هند يتعرضان لفضله ومعروفه، فكتب لهما إلى عامله على البحرين وهَجَر، وهو ربيعة بن الحارث العبديّ، وقال لهما: انطلقا إليه فاقبضا جوائزكما، فخرجا، فلمّا هبطا النجف، قال المتلمس: يا طرفة، إنك غلام حدث، والملك مَنْ قد علمتَ حِقْدَه وغدْرَه، وكلانا قد هجاه، فلست آمن أن يكون أمر فينا بشرّ، فهلمّ فلننظر في كتبنا هذه، فإن يك قد أمر لنا بخير مضَيْنا، وإن تكن الأخرى لم نهلك أنفسنا.

---

(١) ص ١٨٦.

(٢) مضى البيت وشرحه ص ٣١.

(٣) أي ضغن وعداوة.

وأبى طرفة أن يفكّ خاتم الملك، وعدل المتلمس إلى غلام من غلمان الحيرة عبابيّ، فأعطاه الصحيفة، فقرأها، فقال: ثكلت المتلمسَ أمُّه، فانتزع الصحيفة من يدي الغلام، واكتفى بذاك من قوله، واتّبع طرفة فلم يلحقْه، وألقى الصحيفة في نهر الحيرة، ثم خرج هارباً إلى الشام.

ويقال إن المتلمس قال لطرفة حين قرأ كتابه: تعلَّمَنْ أن الذي في صحيفتك مثل الذي في صحيفتي. قال طرفة: إن كان اجترأ عليك ما كان ليجترىء عليّ، ولا ليغرَّني ولا ليُقْدِم عليّ!

ثم سافر طرفة حتى قدم على عامل البحرين، وهو بهَجَر، فدفع إليه كتاب عمرو بن هند، فقرأه، فقال له: هل تعلم ما أُمِرْتُ فيك؟ قال: نعم، أُمِرتَ أن تجُيزَني وتحسنَ إليّ. فقال لطرفة: إن بيني وبينك خؤولةً، أنا لها راع حافظ، فاهرب من ليلتك هذه، فإني قد أُمِرتُ بقتلك، فاخرج قبل أن نُصبِحَ ويعلمَ بك الناس. فقال له طرفة: قد اشتدت عليك جائزتي، فأحببت أن أهرُبَ وأن أجعل لعمرو بن هند عليّ سبيلاً، كأني أذنبتُ ذنباً، والله لا أفعلُ ذلك أبداً! فلما أصبح أمر بحبسه.

وجاءت بكر بن وائل، وقالت قدم عليك طرفة! فدعا به صاحبُ البحرين، فقرأ عليهم وعليه كتاب الملك، ثم أمر بطرفة فحُبس، فتكرّم عن قتله، وكتب إلى عمرو بن هند أن ابعث إلى عملك غيري، فإني غيرُ قاتل الرجل، فبعث إليه عمرو بن هند رجلاً من بني تغلب، يقال له: عبد هند بن جُرَد، واستعمله على البحرين، وكان رجلا شديداً شجاعاً، وأمره بقتل طرفة، وقتل عامل البحرين، ربيعة بن الحارث العبدي أيضاً، فقدم عبد هند البحرين، وقرأ عهده على أهل البحرين، ولبث أياماً، فاجتمعت بكر بن وائل، وهـمّتْ به، وكان طرفة يحرّضهم، وانتدب له رجل من بني عبد القيس، ثم من الحَواثر، يقال له: أبو ريشة، فَقَتَله، فقبره بهَجَر بأرض منها لبني قيس بن ثعلبة[1].

---

(١) الشعر والشعراء: ١٨٥، ١٨٦، شرح القصائد السبع (قصيدة طرفة)، ديوان طرفة بشرح الأعلم: ٩٨ ـ ١٠٠.

هذه هي أبرز حوادث القصة التي حفلت بها كتب الأدب والأخبار، فقد اتفق معظمها على أن طرفة والمتلمس قدما على عمرو بن هند، يلتمسان معروفه وفضله، فهجواه، فكتب لهما كتاباً لعامله في البحرين، أوهمهما فيه بالجائزة، وأمر بقتلهما، فاسترابَ المتلمس في الكتاب، فدفعه إلى غلام حيري، أطلعه على مضمونه، فنجا، وأبى طرفة، فهلك[1].

وحرصت بعض المصادر على أن تزيد في حوادث هذه القصة زيادات مشوّقة، تشدّ القارىء لمطالعتها ومعرفة النهاية التي آلت إليها.

من هذه الزيادات: أن سبب حقد عمرو بن هند على طرفة ليس هو الهجاء فحسب، بل هو الهجاء وتشبيبه بأخته أيضاً، ويذكرون أن طرفة كان ينادم عمرو بن هند، فأشرفت ذات يوم أختُه، فرأى طرفة ظلها في الجام الذي في يده، فقال[2]:

ألا يا بأبي الظّبيُ الّـ ذي يَبْرُقُ شِنْفاهُ
ولولا الملكُ القاعِـ ـدُ قدْ أَلْثَمني فاهُ

فحقد ذلك عليه، وكان قال أيضاً[3]:

ولَيْتَ لنا مكانَ المَلْكِ عَمْرٍو رَغوثاً حولَ قُبَّتِنا تَدورُ
لَعَمْرُكَ إنَّ قابوسَ بنَ هِنْدٍ لَيَخْلِطُ مُلْكَهُ نُوكٌ كَثِيرُ

فكتب له عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين كتاباً أوهمه فيه أنه أمر له بجائزة، وكتب للمتلمس بمثل ذلك[4].

ومن هذه الزيادات أيضاً ما ذكروه من أن سبب تحامل عمرو بن هند على

---

(١) انظر الشعر والشعراء: ١٧٩، ١٧١، ١٨٥، الفاخر: ٧٤، الأغاني (ساسي)٢١/١٢٥، معجم الشعراء: ٢٠١، جمهرة أشعار العرب (ط بولاق)٣٢، شرح المعلقات السبع (قصيدة طرفة)، سمط اللآلى: ٣٠١، الخزانة ١/٤١٢، ٤١٥.

(٢) تقدم البيتان وشرحهما ص ٥٥.

(٣) تقدم البيتان وشرحهما ص ٣١.

(٤) الشعر والشعراء: ١٨٩، تاريخ اليعقوبي ١/٢١٠، معاهد التنصيص ١/٣٦٤.

طرفة تخلّجُه في مشيته، واعتدادُه بنفسه عندما قدم عليه، وهم يروون في ذلك عن المتلمس قوله: قدمتُ أنا وطرفة بن العبد على عمرو بن هند، وكان طرفة غلاماً معجباً تائهاً، يتخلّج في مشيته بين يديه، فنظر إليه عمرو بن هند نظرة كادت تقتلعه من مجلسه. وقال المتلمس لطرفة إثر ذلك: إني لأخاف عليك من نظرته إليك هذه، مع ما كنتَ قلتَ فيه. ثم يتمّم المتلمس قصة الكتاب إلى عامله بالبحرين على النحو الذي رأيناه آنفاً[1].

واختلفوا في كيفية تسرب هجاء طرفة إلى سمع عمرو بن هند، فقد ذهبت معظم المصادر إلى أن عمرو بن هند وعبد عمرو كانا في رحلة صيد حينما أبصر عمرو بن هند كشحه، وسخر منه، وذكّره بقول طرفة فيه، على حين يذهب المفضل بن سلمة إلى أنهما كانا معاً في حمام، فلما تجرّد قال عمرو بن هند: لقد كان ابن عمك طرفة ينظر إلى كشحك حين قال... الخ[2].

وكما اختلفوا في بدء تفصيلات الحوادث، اختلفوا في أواخرها، فذهب بعضهم إلى أن طرفة والمتلمس خرجا يحملان كتاب عمرو بن هند، حتى إذا كانا بالنجف، إذا هما بشيخ على يسار الطريق، يُحْدِث، ويأكل من خبز في يده، ويتناول القمل من ثيابه، فيَقْصَعُه! فقال المتلمس: ما رأيت كاليوم شيخاً أحمق منك! فقال الشيخ: وما رأيت من حمقي؟ أُخْرِجُ خبيثاً، وأدخل طيّباً، وأقتل عدوّاً. ثم تابع الشيخ حديثه، وكأنه يعلم الغيب، فقال: أحمق مني، والله، مَنْ حاملٌ حتفَه بيده، ولا يدري ما فيه! فاستراب المتلمس بقوله، وطلع عليهما غلام حيريّ، فقال له المتلمس: أتقرأ يا غلام؟ قال: نعم، ففك الصحيفة ودفعها إليه، فإذا فيها: أما بعد، فإذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه، وادفنْه حيّاً. فقال لطرفة: ادفع إليه بصحيفتك يقرأها، ففيها، والله، ما في صحيفتي، فقال طرفة: كلا، لم يكن ليجترىء عليّ! فقذف المتلمس بصحيفته في نهر الحيرة، وأخذ نحو الشام، وأخذ طرفة نحو البحرين، فضرب المثل بصحيفة المتلمس[3].

---

(١) شرح القصائد السبع: ١١٥، الأغاني (ساسي) ٢١/١٢٦.

(٢) الفاخر: ٧٤.

(٣) الشعر والشعراء: ١٨١، شرح القصائد السبع: ١١٦، الأغاني (ساسي) ٢١/١٢٦.

ومن اختلافاتهم في عرض أواخر القصة تباين رواياتهم في كيفيّة قتله:

فقد ذهب ابن قتيبة إلى أن عامل البحرين سقاه الخمر حتى أثمله، ثم فَصَد أَكْحَلَهُ[1].

وذهب الزوزني إلى أن شبّان عبد القيس جعلوا يدعونه ويسقونه الخمر حتى قتل[2].

وذهب البكري إلى أن طرفة في ساعاته الأخيرة خُيِّر في القتل، فاختار أن يُسْقى الخمر، وتُفْصَد أكحلاه، ففُعِل به ذلك، حتى مات نزَفاً[3].

وزاد صاحب جمهرة أشعار العرب أن طرفة قال شعراً قبل صلبه[4]:

فَمَنْ مُبْلِغٌ أَحْياء بكرِ بنِ وائِـلٍ ... بأنَّ ابنَ عَبْدٍ راكِبٌ غيرُ راجِلِ
على ناقَةٍ لم يَرْكَبِ الفحلُ ظَهْرَها ... مُشَـذَّبـةٍ أطـرافُهـا بِـالمناجِـلِ

فهو إذاً قُتِلَ مصلوباً على رواية أبي زيد القرشي.

ووقف أبو العلاء المعري في رسالة الغفران أمام الأقاويل في أمر طرفة موقف المتردّد الحيران، فجعل ابن القارح يخاطب طرفة قائلاً: «**ولقد كثُرَت في أمرك** أقاويل الناس: فمنهم مَنْ يزعم أنك في مُلْك النعمان اعتُقِلْت، وقال قوم: «بل الذي فعل به ما فعل عمرو بن هند...»[5]

وذهب الظن بالشريف المرتضى أيضاً إلى أن قاتل طرفة قد يكون النعمان، فقد أورد قول الفرزدق الذي يذكر فيه الشعراء الذين أورثوه أشعارهم:

وَهَب القصائدَ لي النّوابغُ إذْ مَضَوْا ... وأبو يَزيدَ وذو القُروحِ وجَرْوَلُ

---

(١) الشعر والشعراء: ١٨٩.
(٢) شرح المعلقات السبع (قصيدة طرفة).
(٣) سمط اللآلي: ٣٠١.
(٤) جمهرة أشعار العرب: ٣٣ (ط بولاق).
(٥) رسالة الغفران: ٣٣٨.

وأخـو بني قـيسٍ وهُنَّ قَـتَلْنَـهُ ومُـهَلْهِـلُ الـشّعـراءِ ذاكَ الأوّلَ

يعني بالنوابغ: النابغة الذبياني، والجعدي، ونابغة بني شيبان، ويعني بأبي يزيد المخبَّل السعدي، وجرول هو الحطيئة، وذو القروح امرؤ القيس، وأخو بني قيس هو طرفة. ومعنى قوله: «وهن قَتَلْنَهُ» يعني القصائد التي هجا بها عمرو بن هند. ثم قال الشريف المرتضى: ويقال: إن صاحب المتلمس وطرفة في هذه القصة هو النعمان بن المنذر، وذلك أشبه بقول طرفة:

أبا مُنْذِرٍ كـانَتْ غُروراً صَحيفَتي ولَمْ أُعْطِكُمْ في الطَّوْعِ مالي ولا عِرْضي
أبـا مُنْذِرٍ أفنيتَ فَـاسْتَبْقِ بعضَنـا حَنانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وأبو منذر هو النعمان بن المنذر، وكان النعمان بعد عمرو بن هند، وقد مدح طرفة النعمان، فلا يجوز أن يكون عمرو قتله، فيشبه أن تكون القصّة مع النعمان[1].

وعجيب أن تكون هذه الزلّة من الشريف المرتضى، فطرفة لم يمدح النعمان، لأنه قتل قبل تولّيه عرش الحيرة بنحوٍ سبع عشرة سنة[2]. وقوله «أبا منذر» في هذين البيتين لا يكفي للدلالة على أن المعنيّ بقوله هو النعمان بن المنذر، فعمرو بن هند، هو ابن المنذر أيضاً، ويمكن أن يكنى بأبي المنذر. ثم إن شعر طرفة مليء بقوله: «أعمرو بن هند»، «فليت مكان الملك عمرو»، فلماذا لا يكون قوله هذا المتكرر في شعره دليلاً أقوى على أن صاحب المتلمس وطرفة هو عمرو بن هند؟ زد على ذلك أن شعره الذي ذكر فيه عمرو بن هند أثبت من قصيدته التي منها هذان البيتان، فهي قصيدة منسوبة لطرفة، وكان المفضل الضبي ينكرها، ولم يثبتها الأصمعي فيما روى لطرفة من شعر، وفي تضاعيفها كثير من الدلائل على أنها موضوعة، وهذا ما سأشير إليه فيما أستقبل من حديث عن ديوانه.

---

(١) أمالي المرتضى ١/ ١٨٥.

(٢) انظر كتاب عدي بن زيد العبادي: ٢٩، ٧١.

وفي هذه القصة أقوال متضاربة حول مَنْ قام بقتله[1]، وعزل مَنْ لم يقدم على قتله، وتعيين غيره، وأمر عمرو بن هند بقتله مع طرفة[1]. إلى غير ذلك من التفصيلات الجزئية في بناء القصة.

هذه هي الرواية المشهورة عن سجن طرفة ومقتله، تناقلتها كتب الأدب والأخبار في نصوص محبّرة، وحوادث منسّقة، وجزئيات متفقة حيناً، ومختلفة حيناً آخر، ولا يسع الباحث المتأمل أن يقبلها في تفصيلاتها عارية عن الشك؛ ذلك أن الاصطناع واضح في تأليفها، والتكلف بيّن في سير حوادثها.

فلماذا أحال عمرو بن هند طرفة والمتلمس إلى عامله في البحرين ليقتلهما؟ أأشفق من قتلهما هو بنفسه، وهو الذي حرّق مئة من بني تميم، كما تزعم الروايات! وهو الشديد العاتي الجبّار الملقّب بمضرّط الحجارة لقوة شكيمته وشدة بأسه؟!

وإذا كان يحسب لمقتله حساباً، ويخشى من غضبة بكر بن وائل، فهل يأمر بقتله في أراضيها، حيث عزتها ومنعتها وكثرة عديدها؟!

وكيف لا يساور طرفة الشك فيما كتبه عمرو بن هند في رسالته، بعد أن أطلعه المتلمس على مضمون رسالته هو، وتولى هارباً إلى الشام؟ وهو يعلم ما بدر منه من خروج عليه بانحيازه إلى عمرو بن أمامة وسيره معه إلى اليمن، ومن هجاء مرّ مؤلم مثير؟

وإذا كان صاحب البحرين قد رفض تنفيذ أمر عمرو بن هند بقتله، وعرّض نفسه لنقمته، فلماذا سجن طرفة، وقعد ينتظر هذه النقمة لتحلّ به وبطرفة معاً؟ أما كان جديراً به أن يهرب هو وطرفة، وينْجُوَا بنفسيهما من بطش عمرو بن هند الجبّار المحرّق؟!

وكيف احتملت بكر هذه الإهانة الكبيرة بتعيين تغلبي على الحيرة بدل العامل البكري المعزول، وقعد بنوها عن نجدة شاعرهم، وسكتوا عن مقتله ولم يثوروا إذ رأوه يقتل أمام أعينهم، وفي عقر دارهم؟!

---

(١) انظر جواد علي ٩/ ٥٣٧، ٥٣٨.

وهل كان الهجاء وحده هو السبب في اضطغان عمرو بن هند على طرفة وأمره بقتله؟

إن أسئلة كثيرة يستطيع الباحث المتأمل هذه الرواية أن يطرحها شاكّاً في كثير من حوادثها، لأنها لم تقم على أساس من المنطق السليم.

وأغلب الظن أن هذه الرواية مبتورة، وأن لها بداية تلقي كثيراً من الضوء على الأسباب البعيدة التي أدت إلى مقتل طرفة، ولقد أورد هذه البداية أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، شارح القصائد السبع الطوال، في مقدمة قصيدة طرفة، عن هشام بن محمد الكلبي عن خراش بن إسماعيل العجلـيّ، وكنت ألمعت إلى طرف منها في كلامي على الملك عمرو بن هند في الفصل السابق[1]، وهأناذا أورد ملخصاً وافياً عنها، لما لها من أهمية في توضيح تلك الأسباب:

تزوج المنذر بن امرىء القيس هنداً بنت الحارث بن عمرو المقصور بن حُجر آكل المرار، فولدت له عمرو بن المنذر، والمنذر بن المنذر، ومالك بن المنذر، وقابوس بن المنذر. فلما كبرت هند عند المنذر، أعجبته ابنة أخيها أمامة بنت الحارث، فطلق هنداً وتزوجها، فولدت له عمراً، وعرف بعمرو بن أمامة، وهو الذي قتلته مراد بقضيب[2]. وقد كان المنذر في حياة منه جعل المُلْك من بعده لابنه عمرو بن هند، ثم لقابوس، ثم للمنذر بن المنذر بعدهما، ولم يجعل لعمرو بن أمامة شيئاً، ففيه وقع الشرّ بينه وبين إخوته. وكان عمرو قد جعل لقابوس قوماً من العرب يسامرونه، ويركبون معه، وقد كان طرفة بن العبد قد رأى من قابوس وعمرو جفوة، فأنشأ يقول:

فلَيْتَ لَنـا مكـانَ المَلْكِ عَمْـرٍو رَغُـوثـاً حَـوْلَ قُبَّتِنـا تَخـورُ[3]

وكان قابوس قد قسم الدهر يومين: يوم نعيم لا يخرج فيه، ويوماً يغشاه من عشيرته من أولاد أولئك الأشراف الذين جعلهم عمرو مع قابوس، فيقفون ببابه إلى

---

(١) ص ٣٣.

(٢) قضيب: واد في أرض تهامة (معجم البلدان).

(٣) تقدم البيت وشرحه ص ٣١.

الليل، فإن أعجبه حديث أحد أدخله، وإلا وقف مكانه. وكان عمرو يفعل ذلك أيضاً، فلما ملك عمرو بن هند استعمل إخوته من أمه، وقطع عمرو بن أمامة، فقال عمرو بن أمامة في ذلك[1]:

أَلِابْنِ أُمِّكَ ما بَدا ... ولَكَ الخَوَرْنَقُ والسَّدِيرُ
فَلأَمْنَعَنَّ مَنَابِتَ الـ ... ـضُّمْرانِ إذْ مُنِعَ القُصورُ
بِكَتائِبٍ تَرْدي كما ... تَرْدي إلى الجِيَفِ النُّسورُ
إنّا مِنَ العَلّاتِ تُقْـ ... ـضَى دونَ شاهِدِنا الأُمورُ

ثم إن عمرو بن أمامة لحق باليمن، فأتى ملكها ومعه ناس من قيس عيلان وغيرهم، وسار معه طرفة بن العبد، وكان طرفة خلّف إبلاً لأبيه في جوار قابوس وعمرو بن قيس بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة الشيباني. فلما قدم عمرو ابن أمامة على الملك اليماني سأله أن يبعث معه جنداً يقاتل به أخاه عن نصيبه من مُلْك أبيه، فقال: اختَرْ من شئت، فاختار مراداً، فسيّرهم معه، وأقبل حتى نزل بهم وادياً يقال له قضيب في تهامة، فتلاومت مراد بينها، وقالوا: تركتم أموالكم وديياركم وعشائركم، وتبعتم هذا الأنكد! فثاروا به، ولم يشعر عمرو إلا وقد أحاطوا به، وقتلوه، وتفرقت عنه الناس، وانصرفت مراد إلى اليمن.

فاحتمل عمرو بن هند على طرفة الذي كان من مسيره مع عمرو بن أمامة، فأَضِم عليه[2]، وكانت أول مَوْجدة عليه، فبعث عمرو بن هند إلى إبل طرفة التي كانت في جوار قابوس وعمرو بن قيس فأخذها، لما كان من مسيره مع عمرو بن أمامة فقال طرفة:[3]

لَعَمْرُكَ ما كانَتْ حَمولَةُ مَعْبَدٍ ... على جُدِّها حَرْباً لِدِينِكَ مِنْ مُضَرْ

ويكمل ابن الأنباري بعد ذلك الرواية مبيّناً أن طرفة كان قد هجا عمرو بن

---

(١) تقدمت الأبيات وشرحها في ص ٣٤.
(٢) أي حقد عليه.
(٣) تقدم البيت وشرحه ص ٥٢.

هند قبل ذلك، ولم يبلغه هذا الهجاء حتى كان خروجه إلى الصيد، كما سبق بيانه في القضة المبسوطة آنفاً في بدء الكلام على سجنه ومقتله.[1]

يتضح لنا مما تقدم أن أول موجدة من عمرو بن هند على طرفة كان سببها مسيره مع أخيه عمرو بن أمامة إلى اليمن، إذ عدّ ذلك خروجاً عليه، ويتضح لنا أيضاً أن طرفة هجا عمرو بن هند وقابوساً قبل مسيره مع عمرو بن أمامة إلى اليمن؛ إذ رأى منهما جفوة، ولكن هذا الهجاء لم يبلغ مسمع عمرو بن هند حتى كانت رحلة الصيد.

ويبدو أن خروج طرفة مع عمرو بن أمامة الذي انتهى بمقتل عمرو كان يمكن أن يسدل عليه ستار النسيان، لو أن طرفة طامَنَ مِنْ كبريائه، وزايلته عنجهية الشباب واستعلاؤه، وأقبل على عمرو بن هند مُوالياً، مُحاسِناً، معتذراً.

ولكن الذي حدث أن طرفة عاد إلى عمرو بن هند ليطالبه بالثأر لصاحبه عمرو بن أمامة، باعتباره أخا عمرو بن هند، وربما موّه عليه أهداف رحلته معه بأنها كانت بقصد التجارة أو غير ذلك، ولكن عمرو بن هند لم يخف عليه مقصد أخيه، بل بلغه ذلك يقيناً، حين قدم عليه جُعَيْد بن الحارث المرادي، وهو الذي قتل عمرو بن أمامة بيده، ومعه امرأة عمرو بن أمامة وابناه الصغيران، فقال: أيها الملك، سترتُ عورتَك، وقتلتُ عدوَّك[2]!

لم يكن من طرفة بعد فعلته تلك ما يمحو أثرها في نفس عمرو بن هند، بل ما كان منه إلا ما يزيده حقداً عليه وغضباً منه، من هجاء لاذع، بلغه في رحلة الصيد بواكيره، ثم تتابع هجاء طرفة له لمصادرته إبله المستودعة في جوار قابوس وعمرو بن قيس، وهجا قابوساً أيضاً وآل المنذر[3]، إلى غير ذلك من العوامل التي بسطتها في الفقرة السابقة، وأهمها وقوفه من العرش المنذري موقف الاستعلاء والمعارضة

---

(١) أنظر ص ٥٨.

(٢) شرح القصائد السبع: ١٢١، وديوانه برواية ابن السكيت، القصيدة الأولى.

(٣) انظر ديوانه بشرح الأعلم: ٩٦، ١١١، وبشرح ابن السكيت: ١٥، ٥٠.

والنقد والهجاء. وقد أدت مجتمعة إلى عزم عمرو بن هند على التخلص منه، فأمر بسجنه، ثم قتله في السجن.

وإذا كنا نشك في تفصيلات رواية مقتله المستفيضة في كتب الأدب والأخبار، فإننا لا نشك في أنه قتل في ربيع العمر، ولما يبلغ الثلاثين، وأن الذي قتله عمرو بن هند بعد سجن لم يطل، دخله ولم يخرج منه، وربما كانت نهايته تشبه إلى حد بعيد نهاية عدي بن زيد العبادي، الذي قتله النعمان بن المنذر أيضاً في السجن، إلا أن سجن طرفة لم يطل كما طال سجن عدي. أما تلك التفصيلات القصصية التي حفلت بها الرواية المشهورة، فالنفس منها في شك كبير.

ويبدو أن طرفة قال شعراً رائعاً عندما أحاط به الموت، وأحس أن أجله قد حُمّ. يشهد لذلك قول الجاحظ: «وليس في الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يغوث، وذلك أنا إذا قسنا جودة أشعارهما في وقت إحاطة الموت بهما، لم تكن دون سائر أشعارهما في حال الأمن والرفاهية»[1].

وفي هذا الخبر دليل واضح على ذهاب شعر طرفة الجيد الذي تبوأ به مرتبة الفحول، ودليل آخر على صلابة عود طرفة وقوة شخصيته ورباطة جأشه في أحلك ساعات العمر، وأشدّهن وطأة على النفس الإنسانية.

---

(١) البيان والتبيين ٢/٢٦٨، والحيوان ٧/١٥٧.